

ترجمة : الشاعر ياسر يونس

مختارات من ديوان

”أزهار الشر“

للشاعر الفرنسي ”بودلير“



الطبعة الثانية

مختارات من ديوان
«أزهار الشر»
للشاعر الفرنسي
«بودلير»



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والسوى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرقى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز إلى تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة فى ما يصدر عن المركز تعبر عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يبنهاها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

على عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الحكيت ككات - القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

E.mail: hadaraa1990@gmail.com

مختارات من ديوان
«أزهار الشر»
للشاعر الفرنسي «بودلير»

ترجمة
الشاعر ياسر يونس



ترجمة مختارات من ديوان

«أزهار الشر» لبودليير

الكتاب:

ياسر يونس

المترجم:

مركز الحضارة العربية

الناشر:

القاهرة 2023

الطبعة الثانية:

لوحة الغلاف للفنان الفرنسي: جوستاف كوربيه

الجمع والصف الإلكتروني: وحدة الحاسوب بالمركز
الإشراف الفني والجرافيك: محمود عبد الفتاح

2023/4523

رقم الإيداع:

978_977_496_585_2

الترقيم الدولي:

يونس، ياسر محمود

ترجمة مختارات من ديوان أزهار الشر/ ياسر يونس /

ط ١. _ الجيزة: مركز الحضارة العربية للإعلام

والنشر والدراسات، ٢٠٢٣.

٩٤ص: ٢١ سم.

تدمك: ٢_٥٨٥_٤٩٦_٩٧٧_٩٧٨

١_ الشعر الفرنسي

أ- يونس، ياسر (مترجم)

ب- العنوان

٨٤١

مختارات من ديوان
«أزهار الشر»
للشاعر الفرنسي «بودلير»

ترجمة
الشاعر ياسر يونس

صدرت هذه الترجمة عام 1995
عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وقد حاولت فيها أن أعيش تجربة «بودلير» في كتابة كل قصيدة من القصائد المختارة وأكتبها شعراً عربياً مع الالتزام بدقة النقل عن النص الأصلي. وصدّرتُ الترجمة بدراسة موجزة عن بودلير وعصره، كما عقدت مقارنة سريعة بينه وبين أبي نُواس الشاعر العباسي الغني عن التعريف. وآمل أن أكون قد وُفِّقْتُ في تلك التجربة. وأعيد نشرها هنا مزيدة ومنقحة تحتوي على ترجمة لعددٍ من القصائد التي لم تُنشر في الطبعة الأولى. كما أضمتُها بعض التنقيحات التي اقتضاها مر السنين واكتساب الخبرات..

إهداء

إلى روح الدكتور محمد عناني
أول من منحني فرصة النشر في الهيئة المصرية العامة للكتاب
وقت أن كنت يافعًا. وكان دائم التشجيع لي في شبابي إلى أن باعدت بيننا
مشاغل الحياة والمسافات.

وقد كتب دراسة عن أول دواويني «أصدقاء حائرة»،
كما صدر ثاني دواويني «رسالة إلى امرأة» بمقدمة الديوان
والتي نوّه فيها بترجمتي لهذه المختارات.

فلروحه السلام

ياسر يونس

تمهيد:

كانت تجتاح أوروبا في القرن الماضي عاصفة فكرية لا مدى لها غيرت كل ما كان سائداً فيها من أفكار سياسية وعلمية ودينية وأدبية.

كانت ثورة بكل ما تحويه الكلمة من معان، ولن نخوض في تفاصيل يمكن أن تخرجنا من مجال ما نحن بصدده، ولكن يكفي أن نذكر أن خلال القرن التاسع عشر تم اكتشاف قوانين "جول" الكهربائية واختراع التلغراف، وصدر كتاب داروين «أصل الأنواع»، و«رأس المال» لكارل ماركس، والكثير مما لا يتسع المجال لذكره. فكل هذا كان محرّكاً ملزماً للعقول والنفوس بل الأرواح، ومصدراً باعثاً على التطوير والتجديد والإبداع في مجالات العلوم الإنسانية والفنون كافة.

وعلى مدار حياة شاعرنا بودلير (1821 - 1867) صدرت مجموعة من المؤلفات لا شك في أن الشاعر اطلع عليها وكان لها أبعاد الأثر في تكوين ثقافة ووجدان كُتاب ذلك العصر ومفكريه وشعرائه ولا سيما شاعرنا.

وأهم هذه الإصدارات: "البؤساء" لهوجو، و"رأس المال" لكارل ماركس، و"الكونت دي مونت كريستو" لأكسندر دوما، و"غادة الكاميليا" لأكسندر دوما الابن، و"اعترافات آكل الأفيون" لتوماس دي كينسي. كما كان لكتابات الأمريكي "إدجار بو" أثر سياسي كبير وصدى واسع في أوروبا وقتئذ.

ولا ننسى أن الفصل بين الكنيسة والدولة كان قد حرر العقول وأطلق الأفكار قبل هذا الزمن، وهو الذي مهد لهذه الحركة الفكرية العقلية التي يعيش العالم حتى الآن على ما أنتجته عقولها وأبدعته.

لكل ما سبق ذكره لم يكن بغريب أن يظهر شاعر مثل شاعرنا، فيجيء شعره هو الآخر ثورة في كل شيء: ثورة في الأفكار والصور واللغة، وثورة على القيم الأخلاقية القديمة الراسخة في المجتمع الأوروبي حتى القرن التاسع عشر، فقد أباح شاعرنا لنفسه ما لم يكن يُباح لشاعر قَبْلَه، فنجد في شعره الحديث

صراحة عن مفاتن المرأة، والتركيز العميق في تصويرها؛ فالمرأة وجسدها والمتعة ثلاثة محاور لا تنفصل في قصيدة الغزل عند بودلير وسوف نُفصل القول في ذلك عند تعرُّضنا لدراسة شعره.

حياته:

وُلد شارل بودلير في التاسع من أبريل عام 1821 لأب يُدعى فرانسوا بودلير، وكان يعمل لدى إحدى الأسر النبيلة؛ فأتاح له عمله مخالطة النبلاء والأشراف والتأدب بأدبهم وكان أيضًا عاشقًا للفنون ويهوى الرسم، وعلى الرغم من أن فارق السن بين أم بودلير «كارولين دي فاييس» وبين أبيه كان كبيرًا فإنها كانت مُقبلة على الحياة عاشقة للزينة وحياة الترف والأُبهة، مرهفة الحس، متوقدة المشاعر شديدة الإحساس بأنوثتها شأنها شأن سائر الفرنسيات من بنات عصرها فلم تلبث أن تزوجت بعد موت فرانسوا بودلير وشاعرنا بعد لايزال طفلاً تُعوزه رعاية الأم وحنانها.

وكان شارل بودلير في مرحلة دراسته الأولى أقرب إلى الانطواء منه إلى الانفتاح على صحابه، وبعد أن صار يافعًا ألقى بنفسه في أحضان عاهرات باريس وساقطاتها، وأصبح شديد الولع بالنبيلد والأفيون.

وفي عام 1841 سافر إلى جزيرة "بوربون" وزار بعض المستعمرات الفرنسية فبهرتة هذه الأماكن بجمال طبيعتها وسخائها وعبقها وبنساء يعشن على السجية ويختلفن عن نساء فرنسا المُرقَّهات، ولعل معظم الشعراء على اختلاف لسانهم وتباين بيئاتهم يُولعون بالمرأة الطبيعية ويرون فيها سحرًا لا يجدونه في بنات الحضر (المدن) وها هو أبو الطيب المتنبي يلخص مشاعره ويفصح عن رأيه في هذه القضية فيقول:

حُسن الحضارة مجلوبٌ بتَظْريةٍ

وفي البداوة حُسنٌ غير مجلوبٍ

وقد أدرك بودلير بعد المتنبي بمئات السنين ما في المرأة الطبيعية، العارية

من مؤثرات الحضارة، من جمال وفتنة فترك هذا في شعره أثرًا عميقًا، فالمرأة الجميلة في نظره هي جزيرة لم تفتضها بعد الحضارة الحديثة، يقول:

جزيرة كسلى تجودها

الطبيعة السخية

ترزق أشجارًا فريدة

وأثمارًا شهية

وبعد عودة بودلير من رحلته وقع في شبك فتاة تدعى "جان ديثال" من طبقات المجتمع الباريسي الدنيا وأنفق عليها من ماله بسخاء فدفع ذلك أهله للحجر عليه ومنعه من التصرف في أمواله التي ورثها عن أبيه عام 1844، ولكن مشاعره تجاهها تباينت إذ كان يمجدها ويحبها لما يجده فيها من متعته، ويحتقرها في الوقت ذاته لحيوانيتها وتدني نفسها. وظل سنين طويلاً متعلقاً بها لا يستطيع منها فكاكاً، وحتى بعد فراقهما وأثناء علاقته بمدام "ساباتيه" كانت "دي قال" تلقي بظلالها على هذه العلاقة. أما مدام ساباتيه فقد حظيت بمكانة رقيقة في شعره وكتب فيها أجمل قصائده الغزلية.

وفي عام 1843 كتب ست عشرة قصيدة كانت النواة الأولى لأزهار الشر وبدأ في الاختلاف إلى الصالونات الأدبية. وبعد ذلك بعامين نشر أول مطبوعاته بعنوان صالون 1845، وفي عام 1848 بدأ يشارك في الحياة السياسية على استحياء وكان ذلك بترجمته لكتابات الشاعر الأمريكي «إدجار بو».

وفي عام 1855 نشر ثماني عشرة قصيدة في مجلة «العالمين» وهي التي جعلت شهرته تذيع وبها بدأ نجمه يلمع في سماء الأدب.

وفي عام 1857 صدرت له أول طبعة من ديوان «أزهار الشر» وأولى قصائده النثرية، وثار جدل كبير حول عدد من قصائد «أزهار الشر» وما يحويه من قصائد إباحية وانتهى الأمر بمحاكمته و حذفها من الديوان.

وفي عام 1860 صدرت له «الجنان الاصطناعية»، وعام 1861 صدرت له الطبعة الثانية من «أزهار الشر» متضمنة خمسمًا وثلاثين قصيدة جديدة، وعام 1862 طُبعت له إحدى وعشرون قصيدة نثرية، وعام 1864 ذهب إلى بروكسل ليحاضر هناك. ولم تثر بروكسل إعجاب بودلير بل على العكس من ذلك تركت لديه انطباعًا سيئًا عن بلجيكا وشعبها ولا سيما نساءها.

ويتوالى إنتاجه من قصائد النثر فينشر ست قصائد بعنوان «كآبة باريس» عام 1866.

وكانت بداية النهاية إذ أصيب بالشلل وصار قعيدًا؛ إلا أن هذا لم يجعله يتوقف عن العطاء والإبداع ليصدر ست عشرة قصيدة جديدة. وبعد ذلك بعام وبالتحديد في الحادي والثلاثين من أغسطس عام 1867 يُسدل الستار على حياة ذلك الشاعر العظيم؛ فتصعد روحه إلى السماء ويبقى شعره بين أيدينا نُقلبه ونقرأ فيه أسفارًا من الإبداع والألم.

شعر شارل بودلير:

كما سبق أن ذكرنا، في مستهل تقديمنا، كان النتاج الإنساني في القرن الماضي في أوروبا تعبيرًا عن ثورة في المعارف الإنسانية هزت كل ثابت وراسخ في تراث العقل البشري، ومادامت الثورة مرتبطة بالإنسان وعقله؛ فلا بد لها من أن تُؤدِّد ثورة في المشاعر والأحاسيس، وما هذه المشاعر والأحاسيس إلا الشعر، ولم يكن شعر بودلير ليخلو من هذه الثورة.

وما نحن بصدد دراسته الآن هو «الثورة في شعر بودلير».

(أ) الثورة في الشكل والمضمون:

تناول بودلير في شعره كل ما يتعلق بالإنسان من موضوعات، ولم يتحرج من الخوض في موضوع ما حتى وإن كان موضوعًا يوهم بأنه لا يصلح للمعالجة الشعرية، فهو يبدأ إحدى قصائده بالحديث على لسان الغُليون قائلًا:

«أنا غُليونٌ لكاتبٌ»

وما دمنا نعرض للمضمون في شعر بودلير فلا بد أن نستخلص من شعره مغزى التجربة عنده وهو مغزى لا يخلو من الصوفية كما نعرفها عندنا في الشرق فهو يقول في قصيدته «لوحة طبيعية»:

كيما أصوغ بأمانة

أناشيد الغناء

أريد أن أرقد

كالمنجمين في السماء

فهو في حالة فوق مستوى البشر يرقد في السماء بين النجوم، روحه متحررة، يجاور الأجراس ويطل من بعيد على الحياة. ولا شك في أن شاعراً تجربته كهذي يجب أن يثور ويحطم ويأتي بالجديد، وهو بحق يُعد رائد المدرسة الرمزية في الشعر الفرنسي. أما الثورة في الشكل والموسيقى فهي ناتجة عن ثورته في المضمون والأفكار وعن شدة دفقته الشعورية وحِدّة تجربته الشعرية الصادقة، فمثلما حلقت روحه في السماء في تجربة صوفية عنيفة لكي يكتب ألفاظه وتراكيبه بعيداً عن قيود الأوزان الشعرية في كثير من قصائده، لم يكن بودلير ليتحمل أي قيد ويكفي أن نذكر أنه كتب عدداً كبيراً من قصائد النثر وإن كان لم يتخل تماماً عن كتابة القصيدة الشعرية بسماتها المعروفة.

وفي رأينا أنه كان يلجأ إلى قصيدة النثر عندما تكون دفقته الشعورية أكبر من أن تُحد في إطار ما، وأود أن أشير هنا إلى أنه بالنظر إلى أن جماليات وفنيات اللغة الفرنسية تختلف عن جماليات اللغة العربية وفناتها، ناهيك عن اختلاف التراكيب والتعبير، ومع الوضع في الحسبان أن الأوزان العروضية في اللغة العربية أكثر تنوعاً وأوسع بكثير منها في اللغة الفرنسية؛ فإن الشاعر العربي الموهوب موهبة حقيقية يمكنه أن يعبر عن كل ما يريده وأن يضع دفقته الشعورية في قالب يتحملها وتحمله ولا يحتاج إلى الخروج عما يسمى عندنا بعمود الشعر. وهذا ما دفعني إلى أن تكون ترجمتي لهذه المختارات ترجمة شعرية.

أما بودلير الشاعر الفرنسي فلاختلاف طبائع لغته ومظاهر جمالها وقيمها الفنية فقد ضج في كثير من الأحيان بقيود إطارها وخرج عنها دون أن يسبب ذلك انتقاصاً لقيمة ما كتبه من قصائد على هذه الوتيرة الجديدة، بل جاءت قصائده النثرية رائعة.

(ب) الثورة في الصورة:

أصبحت الصورة عند بودلير جزءاً لا يتجزأ من المضمون، مرتبطة تماماً به بحيث لا يمكن فصلها عن الفكرة وهي صورة موظفة تخدم القصيدة وتبرز أفكاره في نسق متكامل نابع من شعوره ومن وعيه الباطن في الوقت نفسه، وهو لا يستحي من أن يضع فيها كل مشاعره مهما كانت غرابتها حتى ولو كانت تفضحه ومثال ذلك قوله:

إليكِ عارِجُ أنا

يدفعني الإقدام دَفعا

كفوج ديدانٍ غدا

في جسدٍ قد مات يرعى

كما أصبحت الصورة شديدة الكثافة والتعقيد، بل هو يجمع بين المتناقضات ويقلب المعاني كما في قوله:

ومثل شمسٍ في جحيم

القُطب يُصليها سعيَرَه

يصير قلبي كُتلةً

حمراء من ثلجٍ كبيرَه

نلاحظ هنا أن للصورة أكثر من مستوًى، والخفيُّ في هذه الصورة أنه يقصد بالثلج الشيخوخة وبالشمس سَوْرَة الشباب، وهناك جزئية تسترعي الاهتمام في

هذه الصورة فبودلير في خبيئة نفسه يدرك أن الشاعر لا يهرم كما يهرم سائر البشر، لذلك سيبقى فيه شيء من دفء الشمس، وذلك قلبه الذي يصلى برد الشيخوخة حتى ولو كان ما يتبقى من هذا الدفء هو حُمرة الالتهاب فقط، فداخله بارد وظاهره ملتهب، ولم لا يكون هذا الظاهر هو شعره، وداخله هو نفسه التي يصدر عنها، ولعله يأمل في أن يظل شعره ملتهب الحرارة حتى بعد أن يفوته الشباب.

وهذه القصيدة عنوانها «أغنية الخريف» ويبدوها بقوله:

تغمرنا عمًا قريبٍ

ظلماتٌ باردَةٌ

إذن وداعًا شمس

صيفنا القصير البائدهُ

وجليُّ هنا ما وراء الأبيات من رمز للشيخوخة، ولكن ماذا بعدها؟ فقد بدأ يسمع الأشجار تهوي هامدة وهذا رمز لتساقط البشر واحدًا تلو الآخر وهو المصير الذي ينتظره:

فقد بدأتُ أسمعُ

الأشجارَ تهوي هامدَه

وصوتها الباكي على

أرضِ الفناء الجامدَه

ويُعد بودلير من أبرع من استخدموا الرمز ووظفوا الأسطورة في شعرهم ولا شك في أنه قد نهل من الثقافة اليونانية وأعجبتة الأساطير بما فيها من خيال خصب وفكر عميق، وظهر هذا في شعره إما بشكل مباشر مثل قوله:

سيزيفُ يُعوزُ همتي
عزمٌ كعزمك في الأمورِ
كيما أقوم بحمل عبءِ
مثل ذا العبء الكبيرِ

أو بشكل غير مباشر مثل قوله:

أريد أن أرقد
كالمنجمين في السماءِ
أجاور الأجراس كي
تسمع أذني في هناءِ
ما تحمل الرياح من
غنائها حلو البهائمِ

(ج) الثورة على القيم الأخلاقية:

تمشي أمامي هذه
العيون مَلَأَى بالضياءِ
آلهةٌ يجمع بينهم
وبيني الإخاءِ

لعل هذا البيت الأخير كافٍ لكي نستخلص منه أن الضابط الوحيد لبودلير هو نفسه، فهو إله نفسه ونزواته هي مُحركه وكل ما يدور في ذهنه ثابت وما عداه متغير.

ولأن المرأة من أهم مواضيع شعر بودلير - إن لم تكن أهمها على الإطلاق - فقد

كّرّس فيها خروجه على التقاليد الراسخة، فهي صنمه ومعبده ومحرابه. ولشدة الارتباط بين المرأة والجنس في الشعر منذ أقدم العصور أصبح موقف الشاعر من هذين الموضوعين من أخطر مواقفه الخُلُقِيّة؛ لأن المرأة هي أمه ومعشوقته وأخته. فلنتأمل ما فعل بودلير بالمرأة في شعره، لقد فضحها وعراها من كل ما يلبس جسدها، بل هو عرّى حتى روحها وجاءت قصائده فيها صريحة الحديث عن الرغبة والمتعة وعن مفاتن جسد المرأة فصدم مشاعر نقاد عصره ودفعهم إلى حذف كثير من قصائده في أول طبعة من «أزهار الشر». وهذه بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

أدبُ كاللص الخسيس في سكونُ
إلى كنوز جسمك الغالي المصونُ

ويقول:

أؤدب الجسم الطريّ
ذا الثنايا المبهرة
أضرب نهدك الذي
قد نال مني المغفرة
أطعن في خاصرة
مشدوهةٍ وحائرة
بطعنةٍ غادرة
شديدةٍ وغائرة

وكثيراً ما نجد ألفاظاً صريحة في شعره مثل النهد والشبق والردف. وبعد أن عرضنا للثورة في شعر بودلير سنعرض لعدة ظواهر في شعره لا

يجب أن تفوتنا دون دراسة، فقد كان لها بالغ الأثر في رؤيته الشعرية والصور والخيالات التي استوحاها وهو يصوغ قصائده ويضمّنها تلك المطابّقات الأفقية والرأسية التي دأب على الجمع بينها. وتلك الظواهر هي:

أولاً: المرأة

ثانياً: الطبيعة

ثالثاً: النزعة الصوفية

أولاً: المرأة

ذكرنا في المقدمة أن هناك ثلاثة محاور لا تنفصل في قصيدة الغزل عند بودلير: هي المرأة وجسدها والمتعة.

(أ) المرأة:

تباينت مشاعره تجاهها فهو يحبها ويمقتها، يعظمها ويحتقرها؛ ومثال ذلك قوله:

مجنونةً بي تيمّني فتنتك

بقدر ما يهواكِ قلبي أمقتك

ولكنه لا يستطيع أن يكرهها رغم ذلك لأنها مصدر إلهامه ومصدر لذته ومصدر سعادته، يقول:

أيتها الضارية

التي كأنها حَجَرٌ

سوف أظل عاشقاً

حتى يصيبك الصَّجَرُ

وهو يريد من محبوبته أن تكون أمه وأخته وعشيقتة، فالمرأة في شعر بودلير لها أكثر من دور بل أكثر من وظيفة، فعلاقة بودلير بالمرأة علاقة مُعقدة ولا تقتصر على بُعد واحد، وكذلك هي في شعره أيضًا، يقول:

مع ذاك فلتحبني

يا أيها القلب الحَدْبُ

كن لي إذن أُمًّا ولو

كنتُ كنودًا أو أربُ

أو لا فكن أختًا

لنفسي أو عشيقَةً تحبُ

ولا يغيب عن ذهننا أثر صدمة الشاعر في أمه بعد زواجها من بعد وفاة أبيه. كما أن أولى علاقات الشاعر النسائية كانت مع عاهرات باريس فترك ذلك في نفسه صورة داعرة للمرأة.

(ب) جسد المرأة:

إليكِ عارِجُ أنا

يدفعني الإقدام دفعا

كفوج ديدانٍ غدا

في جسدٍ قد مات يرعى

جسد المرأة هو صنمه المعبود ولكنه معبود حقير عابده أحقر منه، جيفة ودودة. وما تعطيه المرأة حقير وليس إلا نَتْنَا وَعَفْنَا، ولكنه يعيش عليه لأنه أحقر منه، ولا تكاد تخلو قصيدة غزلية لبودلير من الألفاظ الصريحة كالخصر والنهد واللذة. وهو بذلك يعري جسد المرأة تمامًا ولا يرى فيها إلا بهيمة لا تشتفي لها غُلة يقول:

أيتها الضارية

التي كأنها حَجْرٌ

سوف أظل عاشقًا

حتى يصيبك الضجرُ

وهو يحب المرأة القوية الجموح ويفصح عن ذلك بقوله:

أنتِ تمرين بقلبِ دَنِفٍ

فتبهرينه بفرطِ صحتكُ

و بودليير دأب على أن يفضح المرأة في شعره، والمرأة بالنسبة إلى بودليير، إلا فيما ندر، كائن جامح ومفضوح، يقول:

جعلتِ أثوابك تلك الفاضحةُ

شعارَ روحك اللعوب الجامحةُ

(ج) المتعة:

يكفيك أن تعرف أن بودليير يكفيه أن يشم ريح نهدها حتى تتجلى له شواطئ السرور والهناء. وهي نافجة العطر والمبخرة، بل هي حبة مسك ثوت في قرارة روحه ويعترف بأنها صنمه وأنها سر شفائه وهنائه فيقول:

إليك يا سر الشفاء والهناءُ

يا ملكي يا صنمي المخلدا

وقد تركت رحلات بودليير إلى الجزر والمستعمرات الفرنسية التي يشيع فيها استعمال النساء للعطور القوية المُستخرجة من الطبيعة، أثرًا قويًا في نفسه فهو مُولعٌ بالعطور، ولا سيما العطور الطبيعية الفواحة، يقول:

نافجة العطر التي

في الليل مثل المبخرة

تنفحنا بخورها

منسيةً مُستَرَّه

وقمة متعته، حين يروح لشفاهها الغضة، أن ينفث فيها السم، يقول:

أي عذوبةٍ تدير مقلتي

حين أروح للشفاه الغضة

أنفث فيك السم يا شقيقتي

وهذا معنى لا يخلو من السادية كما نرى.

ثانياً: الطبيعة

هناك ظاهرتان تسترعيان الاهتمام في موقفه من الطبيعة: الأولى حبه لها والثانية خوفه منها، وهو عاشق للطبيعة ولا يكاد يخلو شعره في المرأة من مزج جمالها بجمال الطبيعة ولكي يستمتع بالمرأة تُعوزه طبيعة جميلة محيطة به وبها، بل أجمل ما تفعله به المرأة أن تجعل شواطئ السرور والهناء تتجلى له وكأنه يريد الجمع بين الماء والخضرة والوجه الحسن يقول:

أستاف مُغْمِضًا عيوني

حر نهدك اللطيف

في ليلةٍ دافئة

من بين ليلات الخريف

* * *

فتتجلى لي شواطئ

السرور والهناء

قد سطعتُ وائتلقتُ

فيها دؤوبَةً ذُكاء

ولكنه في الوقت ذاته مُرَوِّعٌ مذعورٌ مما تحويه الطبيعة من رموز للموت والشيخوخة؛ فالخريف شيخوخة، وقطع الأشجار رمز الموت الذي يخافه وينتظره يقول:

صوت سقوط الحطب

الذي يُعد للحريقُ

يدق قلبي مثلما

يدك برجًا منجنيقُ

وأحيانًا تُشعره الطبيعة بعجزه الإنساني فيثور ويحاول الانتقام فيقول:

شعرتُ أن الاخضرار والربيع

فيهما ذلٌّ لنفسي أو مهانهُ

قطفتُ من بين الزهور والورود

زهرةً ردًّا على تلك الإهانةُ

ثم أن بودلير يبصر في الطبيعة بحسه الشاعر ما لا يبصر غيره يقول:

من يبصر الحياة من

علٍ ولكن دون جَهدٍ

يفهم ما في الصمت من

معنىً وما في قول وردٍ

وهو في صورهِ يمزج بين الطبيعة والنفس البشرية في رومانسية
حالة ورمزية عميقة.

ويركز بودلير في أحيانٍ كثيرة على إبراز المُطابَّقات، كما في قصيدته
"مُطابَّقات"، فهو يُبرز المُطابَّقات الأفقية بين الحواس:

إن الطبيعةَ معبداً

ليست دعائمه مَواتٍ

يجتاز فيه المرء

غابات الرموز الكائنات

تتجاوب الأصوات

والألوان فيه والعطورُ

فمفردات هذه المُطابَّقة بين الحواس هي الأصوات والألوان والعطور،
كما يُبرز المُطابَّقات الرأسية بين المادي والروحي، ومن مفرداتها الطبيعة
والرموز.

ثالثاً: النزعة الصوفية

فوق البحار والجبال

والسهول والغيومُ

في الغاب والمستنقعات

والضباب والسديمُ

* * *

أيتها النفس أراكِ
تسرحين في وثابِ
كمثل سباحٍ أصابهُ
الدُّوارُ في العُبابِ
* * *

تطهّري وحلّقي
في الأفق الأعلى بعيدُ
عن الروائح التي
في الجو ننتها شديدُ

هذه المقتطفات من قصيدته «صعود» تمثل تجربة صوفية متكاملة لا ينقصها الوجد ولا اللحظة السرمدية على حد تعبير الصوفية في الشرق إلى درجة أنه يُقرُّ في شعره بوحدة الوجود إذ يقول:

إن الطبيعة معبّدُ
ليست دعائمه مَواتُ
يجتاز فيها المرء
غابات الرموز الكائناتُ
* * *

تتجاوب الأصوات
والألوان فيه والعطورُ
في وحدةٍ سوداءَ
مُظلمة النواحي والسطورُ

ويتضح كما ذكرنا قبل ذلك أثناء حديثنا عن تجربته الشعرية أن التجربة الشعرية عنده لا تنفصل عن النزعة الصوفية أبدًا، فهو لا يكتب إلا وروحه متحررة منطلقة مشرفة على الحياة من السماوات، مجاورةً للنجوم والأفلاك.

بين بودلير وأبي نواس:

لسنا الآن بصدد دراسة مقارنة بين شاعرين، ولكن المتأمل للشعر العربي والفرنسي يجد أن أبا نواس وبودلير ظاهرة فريدة في الشعر العربي تكررت في الشعر الفرنسي، وقد يكون ذلك بسبب تشابه تكوينهما النفسي، وقد يكون بسبب أثر الثقافة العربية في الأدب الفرنسي ولكن كل هذا لا يعيننا الآن ولا يتسع المجال لبحثه في هذه العجالة، ولكن ما يعيننا هو الإشارة إلى التشابه العجيب بين شعر الشاعرين الكبيرين؛ رغم اختلاف لسانهما وبيئتهما وعلى الرغم من مئات السنين التي تفصل بينهما.

وهناك عدة ظواهر مثيرة للعجب في حياة الشاعرين؛ فمثلًا المرحلة التي عاش فيها أبو نواس كانت مرحلة ازدهار لكل شيء في المجتمع العربي من فلسفة وعلم وأدب، وحتى في باب الاجتهاد والتأليف في الدين، كانت نهضة أفرزت عقولًا مثل الجاحظ وواصلًا بن عطاء وكثيرين غيرهما.

وقد أشرنا إلى ما كان من نهضة قبل وخلال حياة بودلير في أوروبا والمجتمع الفرنسي. والأغرب من ذلك تشابه الشاعرين في الصفات الجسدية فقد أجمعت المصادر العربية على أن أبا نواس كان ناحل الجسد ضعيف البنية وكذلك كان بودلير، كما كان الاثنان عاشقين للنبذ ماجنين. وكلنا يعرف عصابة المُجَّان التي كان ينتمي لها أبو نواس. وقد عرضنا أثناء حديثنا عن حياة بودلير لما كان عليه من طيش ومجون دفع أهله للحجر عليه.

وكان بودلير في خبيئة نفسه يحتقر أمه وكذلك كان أبو نواس إذ ذكرت المصادر أنها كانت تجمع بين الرجال والنساء في مقابل المال، كما أن الشاعرين أسرفا في الإقبال على اللذات والنزوات مما زاد جسميهما ضعفًا على ضعف، حيث حضرت الشاعرين المنيّة وكلاهما لم يكمل ستين عامًا، إذ عاش أبو نواس أربعة وخمسين عامًا وعاش بودلير ستة وأربعين عامًا، أما شعرهما فقد تضمن

ألفاظاً صريحة عند الحديث عن جسد المرأة والمتعة، بل كتب أبو نواس كثيراً من الغلmaniات. ويسترعي الانتباه أن أبا نواس ثار على لغة عصره وأعرافه الأدبية واستخدم أحياناً لغة الشارع في شعره إذ يقول:

«يا رغيِّفاً ردّه البقالُ يبساً وصلابه»

وعارض أيضاً الوقوف على الأطلال وبكاءها، فقد كان شعراء عصره لايزالون يسيرون على نهج الأقدمين، فعاب عليهم ذلك وخرج عنه وذكر موقفه من ذلك صراحة في مواضع عدة من شعره، ومثال ذلك قوله:

لا تبك ربعا عفى بذى سلمٍ وبز آثاره يد القدام
وعُج بنا نجتلي مُخدره نسيمها ريح عنبرِ صرم

ولعل هذا يذكرنا بثورة بودلير على اللغة في شعره. وإذا أردنا أن نُفصل الحديث في ما في شعر الشاعرين من تشابه فلن يتسع المجال لذلك، ولكن سوف نمر مرور الكرام على أبيات للشاعرين تُبرز مدى اتفاقهما.

ولسنا في حاجة للبرهنة على أن أبا نواس وبودلير خرجا عن قيم عصرهما الخلقية، وشببا بالمرأة صراحةً بل شبب أبو نواس بالغلمان أيضاً. ومن يريد أن يستدل على ذلك فعليه بشعرهما يقرؤه.

ولكن الغريب أن المجتمع العربي المحيط بأبي نواس كان أكثر رفقا به من المجتمع المحيط ببودلير فلم يحذف من شعره شيئا بل تداوله الناس كما هو مما يدل على الحرية الفكرية وقتئذ وتعايش جميع الاتجاهات الفكرية فأنتج ذلك عقليات عظيمة وقرائح قل أن وجود بمثلهما عصر.

ويمكننا القول بأن لمجون الشاعرين أثره في هذا الشبه الذي لمحناه في شعرهما وإن كان لأبي نواس فضل السبق. ونحن الآن أمام قصيدتين للشاعرين كلتاهما تحكي قصته مع الشيطان!!!

في قصيدة أبي نواس نجد قصة تجمع بينه وبين الشيطان الذي يتهدده أبو نواس بالتوبة وإقامة الفرائض لو لم يجعل حبيبته يرجع إليه وفي النهاية يرضخ

له إبليس ويعود له حبيبه ومن القصيدة هذه الأبيات:

لما جفاني الحبيب وامتنعتُ عني الرسائل منه والخبرُ
دعوتُ إبليس ثم قلت له في خلوةٍ والدموع تنهمرُ
إن أنتَ لم تُلق لي المودة في صدر حبيبي وأنتَ مُقتدرُ
لا قلتُ شعراً ولا سمعت غنا ولا جرى في مفاصلي السُكُرُ
ولا أزال القرآن أدْرُسُهُ أروح في درسه وأبتكرُ

والموضوع هنا لا شك حديث ومبتكر ويدل على مدى ثورة أبي نواس على القيم والأعراف الأدبية وعلى سبقه لكثير من شعراء الغرب الذين أولعوا بالشيطان في شعرهم. فللشيطان في شعر أبي نواس مكانة كبيرة وقد ذكره في قصائد عدة، أما قصيدة بودلير فهي تحكي أن الشيطان زاره في الصباح لكي يعرف منه ما هو أجمل ما فيه؟ أي أجمل ما في الشيطان، والشاعر حائر لأن كل ما فيه بديع ولا يستطيع أن يجيبه، ولكن أشد ما يُبهره في شيطانه هو التناقض الذي في شكله. ولا يخفى على القارئ أن شيطان بودلير هو المرأة التي يعجبه كل ما فيها وفي هذه القصيدة يقول:

ذات صباحٍ زارني في حجرتي

إبليس كي يوقع نفسي في الرذيلة

سألني أن أنتقي أجمل ما

في جسمه من المفاتن الجميلة

وكما نرى كان أبو نواس مباشراً في علاقته مع الشيطان جريئاً وأكثر صراحة. فهو لا يستحي من أن يُعبر عما يجيش في نفسه من تقدير لإبليس وهو يُسخره لكي يأتي بجبهه إليه نادماً على جفائه، أما بودلير فلم يفصل بين عشيقته وبين إبليس فهي شيطانة وهو يخطئ ويقع في المعاصي؛ لأنه لا يقوى على مقاومة إغراء حواء، أما أبو نواس فليس هناك ما يغريه بل هناك جفاء من قبل عشيقته

أو عشيقه وسعي منه هو للرديلة إلى حد أن يتهدد إبليس ويتوعده بتوبته.

وأخيراً نجد الشاعرين على مدار حياتهما تتنابهما نوبات من الخجل مما كانا يرتكبان من معاصٍ فنجد أبا نواس يقول:

إِلَهَنَا مَا أَعْدَاكَ مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ
لَبَّيْكَ قَدْ لَبَيْتُ لَكَ لَبَّيْكَ إِنْ الْحَمْدُ لَكَ

ونجد بودلير في صحوه من ضميره يقول:

في قلب كل رجلٍ

بذلك الوصف جديرٌ

يعيش صلُّ أصفراً

الرأس كملكٍ في سريزٍ

يزجره إن قال

إنه لشهوةٍ أسيرٌ

وعندما يحس كلاهما باقتراب نهايته ينظم من الأبيات ما يقر فيه بالخطأ ويضع كل أمل في الله، كما عند أبي نواس، وفي الرب الذي لا يحتاج إلى أن يوجد كي يسود، كما عند بودلير. وكأنما هذه الأبيات التي نظمها هي توبة واعتذار عن كل ما اقترفاه من مآثم.

فها هو أبو نواس يقول:

يَا رَبِّ إِنْ عَظَمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفُوكَ أَعْظَمُ

مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفُوكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

وها هو بودلير يعلن مثل هذا الموقف فيقول:

بوركت يا سوط
العذاب وتبارك الأنين
لم تك نفسي في يدك
مثل لعبة تهون

* * *

يا عاليًا في حكمته
مقدسًا في رحمته

وأترك الآن أيها القارئ الكريم وكلي أمل في أن تستمتع بشعر بودليير مثلما
استمتعت، به راجيًا الله تعالى أن أكون قد وفقت في نقله بأمانة إلى العربية.

* * *

مختارات من ديوان
«أزهار الشر»
للشاعر الفرنسي «بودلير»

Le Guignon

الشؤم

سيزيفُ يُعَوِّزُ هِمَّتِي
عزْمٌ كعزمك في الأمورِ
كيما أقوم بحمل عبءٍ
مثل ذا العبء الكبيرِ

* * *

وبرغم أن القلب لا
ينفك ينبض بالشعورِ
فالوقت محدودٌ قصيرُ
والفن يحتاج الكثيرُ

* * *

وهناك حيث مدافن
الأشراف تبدو من بعيد
ولأجل قبر مفرد
فوق الثرى يجثو وحيد
قلبي كدَّف صامت
سيدق للموتى نشيد
* * *

كم درة وسط الظلام
ثوت بعيداً في الرغام
عن كل آلات التقصي
والمعاول في الظلام
* * *

كم زهرة نذفت على
مضض أريجاً أو رحيق
عذباً كسر ليس يكشف
وهو في غور سحيق
* * *

Chant d'automne

أغنية الخريف

تغمرنا عمًّا قريب
ظلماتٌ باردةٌ
إذا وداعًا شمس
صيفنا القصير البائدهُ

* * *

فقد بدأتُ أسمع
الأشجار تهوي هامدَه
وصوتها الباكي على
أرض الفناء الجامدَه

* * *

سیدخل الشتاء نفسي
كاملاً يحوي شعوره
عناءه وغيظه
وخوفه وزمهريره

* * *

ومثل شمس في جحيم
القطب يُصليها سعيره
يصير قلبي كتلة
حمراء من ثلج كبيره

* * *

صوت سقوط الحطب
الذي يُعد للحريق
يدق قلبي مثلما
يَدُّكَ برَجًّا منجنيقًا

* * *

إن المنصة التي
تُبنى وتُعلَى في الطريق
ما إن لها وقعٌ يفوق
ذلك الصدى الخنيق

* * *

لقد غدا يهتز قلبي
تحت دقات تُعادُ
كأن مسماراً لنعش
دُقَّ من أجل الحِدادُ

* * *

لمن؟ فأمسِ الصيفُ مات
والخريفُ اليومَ عادُ
فهذه الضوضاءُ
تعلو للرحيل والبِعادُ

* * *

أعشق في عينيك خُصرةً
تشع كالبريق
والحُسنَ عذباً بيد أن
كلَّ شيءٍ فيه ضيقُ
* * *

فلا الهوى ولا مجالس
النساء دون سِترِ
أو موقدٌ يعدل لي
شعاع شمسٍ عند بحرِ
* * *

مع ذاك فلتحبني
يا أيها القلبُ الحَدْبُ
كن لي إداً أمًّا ولو
كنتُ كنودًا أو أربُّ
أو لا فكن أختًا
لنفسي أو عشيقَةً تُحِبُّ

* * *

أو فلتكن عذوبةً
عابرةً وزائلهُ
لذا الخريف ذي البهاء
أو لشمسٍ أَفْلَهُ

* * *

عُمْرٌ قَصِيرٌ فَالضَّرِيحِ
ظَامئًا قَد رَقَبَا
آهٍ اَتْرَكِينِي فَوْقَ
رُكْبَتَيْكَ رَأْسِي نُصْبَا

* * *

أَذُوقِ وَحْدِي آسَفًا
صَيْفًا حَرِيقًا مُلْهَبَا
أَوْ بَارِقًا أَصْفَرِ
عَذْبًا لَخْرِيْفٍ ذَهَبَا

* * *

Élévation

صُعود

فوق البحار والجبالِ
والسهول والغيومِ
في الغاب والمستنقعات
والضباب والسديمِ

* * *

من ها هنا الشمس ومن
هنا الأثير والجُرومِ
حيث حدود الكرة
التي تُرصع النجومِ

* * *

أيتها النفس أراك
تسرحين في وثاب
كمثل سباح أصابه
الدُّوار في العُباب

* * *

وفي حُبور تمخرين
ذلك العمق الكبير
بشهوة ليس لها
وصف كشهوة الذكور

* * *

تطهّرني وحلّقي
في الأفق الأعلى بعيدُ
عن الروائح التي
في الجو نثنها شديدُ

* * *

ولتشربي النار التي
تملاً رائق الفضاءِ
كأنها الخمر التي
يعصر أرباب السماءِ

* * *

خلف الشجون والجوى
والسَّامُ الرحب القميءُ
إذ تجعل الكون الضبابي
بثقلها مليءُ

* * *

يسعد من يَحملهُ
جناحه العاتي المكينُ
نحو الحقول الغارقات
في الضياء والسكونُ

* * *

من يملك الأفكار مثل
القُبَّرات في الصبَاحِ
وهي تحوم في السماء
حُرَّةً على جناحِ

* * *

من يُبصر الحياةَ من
عَلٍ ولكنْ دونَ جَهْدِ
يفهم ما في الصمت من
معنى وما في قولٍ وَرَدِ

* * *

Parfum exotique

العطر الفريد

أستاف مُغْمِضًا عيوني
حَرَ نهدكِ اللطيفِ
في ليلةٍ دافئةٍ
من بين ليالاتِ الخريفِ

* * *

فتتجلى لي شواطئ
السُرورِ والهناءِ
قد سطعتُ وائتلقتُ
فيها دُؤوبَةٌ ذُكَاءٌ^(*)

* * *

(*) ذُكَاءٌ: من أسماء الشمس.

جزيرةً كَسَلَى تَجُودَهَا
الطبيعة السخِيَّةُ
ترزق أشجارًا فريدةً
وأثمارًا شهِيَّةً

* * *

وفتيةً لهم جُومٌ
سمهريَّات قويَّةُ
ونسوةٌ يخلبن ذا
اللب بنظرات جليَّةُ

* * *

يقودني فوح شذاك
صوب أجواء البدع
أبصر مرفاً مليئاً
بالسواري والشرع
منهكةً لما تزل
من طول ما الموج صرع

* * *

في حين عطر الشجر
الهندي يذكو عاطرا
يملاً روعي مع أغاني
المبحرين دائرا

* * *

Le Flambeau vivant

المِشعل الحى

تمشى أمامى هذه
العيون مَلأى بالضياء
مغنطها يوماً ملاك
حاذقٌ دون مرء
آلهةٌ يجمع بينهم
وبينى الإخاء
وفى عيوني هدهدوا
نيران ماسٍ كالضياء

* * *

يؤمّنون سكتي
من الفخاخ والرذيله
وهم يُسيرون خُطواتي
على درب الفضيله

* * *

فهم عبيدي وأنا
أيضاً لهم عبدٌ مطيعٌ
كل كياني أمرَ هذا
المِشعل الحي يُطيعُ

* * *

تلك العيون الساحرات
نورها نور التُّقى
كمثل شمعٍ قد رَعَاهُ
النور حتى ائْتَلَقَا
والشمسُ تَحْمَرُّ ولا
تُطفئ فيهِ الأَلْقَا

* * *

يا أنجمًا لم تستطع
إطفاءِ ضوئها ذُكَاءُ
تُمجِّدين العيش إذ
يحتفلون بالفناء
ماشيةً يَقْظِي
تُجدين بالغناء

* * *

Je t'adore à l'égal de la voûte nocturne

بِكِ أَهِيْمِ مِثْلَمَا بِقُبَّةِ اللَّيْلِ أَهِيْمِ
(رَبَّةِ الْحُسْنِ السُّوْدَاءِ)

بِكِ أَهِيْمِ مِثْلَمَا
بِقُبَّةِ اللَّيْلِ أَهِيْمِ
يَا رَبَّةِ الصَّمْتِ وَيَا
أَنِةً تَحْوِي الْهَمُومَ

* * *

يَزِيْدُ فِي حُبِّيكَ أَنْ
صَدَدَتْ عَنِي جَافِيَهُ
وَأَنْ بَدَوَتْ تَمْلِيْنُ
زِيْنَةَ لِيَالِيَهُ

* * *

هازئةً تُباعدين
بالصدود والجفاءِ
بين ذراعيَّ وبين
هالةٍ من الصفاءِ

* * *

إليكِ عارجُ أنا
يدفعني الإقدامَ دَفا
كفوج ديدانِ غدا
في جسدٍ قد ماتَ يرعى

* * *

أيتها الضاريةُ
التي كأنها حَجَرُ
سوف أظل عاشقاً
حتى يصيبك الضجرُ
فتصبحين عندها
أحلى وأسمى في النظرُ

* * *

Hymne

أنشودة

إليك يا أغلى وأجمل النساء
إليك يا من ملأت قلبي ضياءً

* * *

يا ملكي يا صنمي المخلدا
تحيةً سوف تعيش أبداً

* * *

هي تفيض في حياتي
الملح نسمات زكيه
وسكبت طعم الخلود
داخل النفس الظميه

* * *

نافجةُ العِطْرِ التي
في الليلِ مثلِ المِبخِرةِ
تنفحنا بخورها
مَنسِيَةً مُسْتَرَّةً

* * *

هِيهَاتَ أَنِي أَيُّهَا
الحُبُّ المُطَهَّرُ الصَّحِيحُ
مهما يكن وصفي فلن
يكون صادقاً صريحاً
يا حَبَّةَ المسكِ التي
في جوفِ نفسي لا تلوخُ

* * *

إِلَيْكَ يَا أَحْلَى وَأَجْمَلَ النِّسَاءِ
إِلَيْكَ يَا سِرَّ الشِّفَاءِ وَالْهِنَاءِ

* * *

يَا مَلِكِي يَا صَنَمِي الْمُخَلَّدَا
تَحِيَّةً سَوْفَ تَعِيشُ أَبَدَا

* * *

L' Avertisseur

النذير

في قلب كل رجل
بذلك الوصف جديرُ
يعيش صلُّ أصفُرُ
الرأس كملك في سريرُ
يزجره إن قال
إنه لشهوة أسيرُ

* * *

إن أبحرت عيناك في
بحر العيون الساكنات
لرَبَّة الغابات أو
حُور البحار الفاتنات
يَقُلُّ لك الناب
عليك إن نسيت واجباتُ

* * *

فلتُنَجِّبِ الأَطْفَالَ
وَلتَغْرِسْ بِذورًا لِلنَّمَاءِ
نَقِّحْ سَطُورَ الشَّعْرِ ثُمَّ
انحِتْ رُخَامًا لِلبَقَاءِ
يُصْبِحُ سَوَالُ النَّابِ هَلْ
أَنْتِ سَتْحِيَا فِي الْمَسَاءِ ؟

* * *

مَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمَلٍ
الْمَرْءُ وَمَا يُخْفِي الضَّمِيرُ
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ
الْمَرْءُ لِحِظَةً تَسِيرُ
مَنْ غَيْرِ أَنْ يُرْهَقَهُ
عَذَابِ صِلِّهِ النَّذِيرُ

* * *

Correspondances

مُطَابَقَات

إن الطبيعة معبدٌ
ليست دعائمه مَوَاتُ
وتذيع أحياناً كلاماً
مُبْهَمًا كالغمماتُ

* * *

يجتاز فيه المرء
غابات الرموز الكائناتُ
تلك التي ترنو إليه
في هدوءٍ حانياتُ

* * *

تتجاوب الأصواتُ
والألوان فيه والعطورُ
في وحدةٍ سوداءَ
مظلمةِ النواحي والسطورُ

* * *

ممتدة كالليل أو
ممتدةً كجلاء نورٍ
هي مثل أصداءٍ تلاقَت
من بعيدٍ في الأثيرُ

* * *

ومن العطور روائحٌ
تندى كأجسام الصغارِ
ولها شذاً عذبٌ
كمزمار وأخضر كالبراري
وهناك ما هو نافذٌ
يطغى ويقهر في انتصارِ

* * *

وله اتساع اللانهاية
مثل شبيءٍ لا يُحدُّ
كالمسك أو كالعنبر
الفوّاح أو كرحيق ندُّ
تتلو نشيداً لانتشاء
الروح أو سُكر الجسدُ

* * *

A celle qui est trop gaie
إلى المرحّة مفرطة المرح

وجهُكَ العذب سَمْتُهُ لفتاتُك
هي أحلى من روضةٍ قَسَماتُك

* * *

كالنسيم العليل تبدو سماتُك
حين تلهو في خدهِ ضحكاتُك

* * *

أنتِ تمرين بقلبِ دَنفِ
فتبهرينهُ بفرطِ صحتِك

* * *

كأنها ينبوع نور دافق
من ساعديك شعاً أو ترقوتك

* * *

ألوانك الصارخة الصاخبة
التي نثرت في رياض زينتك

* * *

تلهم فكر الشعراء الناظرين
صورةً لمرقص في جنتك

* * *

جعلت أثوابك تلك الفاضحة
شعار روحك اللعوب الجامحة

* * *

مجنونهُ بي تيمتني فتنُّك
بقدر ما يهواك قلبي أمقتُك

* * *

أذكر يوم كنتُ في حديقة
مجرجراً أوصال جسمي الخائِرة

* * *

أحسستُ ضوء الشمس ضحكة علتُ
وأخذتُ تشق صدري ساخره

* * *

شعرتُ أن الاخضرار والربيع
فيهما ذلٌ لنفسي أو مهانه

* * *

قطفتُ من بين الزهور والورود
زهرةً ردّاً على تلك الإهانة

* * *

كم أشتهي أمسيةً من الجنون
في ليلاها تحين ساعة المُجون

* * *

أدبُ كاللص الخسيس في سكون
إلى كنوز جسمك الغالي المصون

* * *

أؤدبُ الجسم الطري
ذا الثنايا المُبهرة

* * *

أضرب نهدك الذي
قد نال مني المغفره

* * *

أطعن في خاصرة
مشدوهة وحائره

* * *

بطعنة غادرة
شديدة وغائره

* * *

أي عذوبة تدير مقلتي
حين أروح للشفاه الغضة

* * *

يبهر وجداني دوام الجدة
أنفث فيك السم يا شقيقتي

* * *

Paysage

لوحة طبيعية

كيما أصوغ بأمانةٍ
أناشيد الغناءِ
أريد أن أرقد
كالمنجمين في السماءِ

* * *

أجاور الأجراس كي
تسمع أذني في هناءِ
ما تحمل الرياح من
غنائها حلو البهاءِ

* * *

يدي حول ذقني
أبصر من سقف بعيد
ذا المشغل الذي يضج
بالكلام والنشيد

* * *

مدينة فيها السواري
والبروج والبُنود
سماؤها تجعلنا
نحلم أحلام الخلود

* * *

ما أروع السماء في
وقت ولادة النجوم
ما أجمل المصباح في
نافذةٍ عبر الغيوم

* * *

وفي السما تصعد أنهارٌ
من الفحم البهيم
و القمر الذي يصبُّ
ضوءه البالي القديم

* * *

سوف أرى الربيع
والصيف وبعده الخريفُ
وحينما يأتي الشتاء
صاحب الثلج السخيفُ

* * *

أغلقِ حولي المصاريع
وأسدل السُّجوفُ
كيما أشيد قصري
المسحور في الليل الكسيفُ

* * *

وعندها أحلم
بالآفاق تبدو في صفاء
بقُبُلِ الطير يشدو
في الصِّباح والمساء
والماء فوق المرمر
المصقول يجري كالبكاء

* * *

وكل ما في أغنيات
الحُب من طفولة
فالهَرَجُ الذي تراه
العين من شُرْفَتِي
لن يستطيع رفع رأسي
من على مكتبتي

* * *

لأنني سوف أكون
غارقاً في لذتي
أستحضر الربيع
وحدي ومعني إرادتي

* * *

وبينما أجدب شمساً
من فؤادي واحده
أصنع جواً دافئاً
من نار فكري الصاخده

* * *

Le Portrait

الصورة

الداء والموت هما قد صنعا
كل رماد الشعُلاتِ الخائياتِ
من العيون الواسعاتِ والتي
تغمرنا بالنظراتِ الحائياتِ
من ذلك الفم الذي قد أغرق
القلبَ ومن قُبُلاتِه ذي الشافياتِ
ومن حياة حركاتٍ قد غدت
أشدَّ من شعاعِ شمسٍ بادياتِ

* * *

أيتها النفس إذن ماذا سيبقى
بعد هذا؟! يا القسوة المماتِ
لا شيء غير صورةٍ شاحبةٍ
خُطت بأقلام الرصاص الباهتاتِ
وهي تموت في انعزالٍ وحدها
ومثلما في وحدةٍ ألقى مماتي

* * *

كم هو شائنٌ عجوزٌ دهرنا
وهو يحك كالغراب الخافياتِ
فأنت يا سفاحنا الأسودَ
قاتل النفوس والفنون والحياةِ
مهما جرى فأبدًا لن تستطيع
قتل من حفظتُ في مذكراتي
فهي التي قد أسعدتني وهي من
قد صنعتُ مجدي وفخري في حياتي

* * *

Sur Le Tasse en prison d'Eugène
Delacroix

الشاعر «تاسو» (*) في السجن
بريشة: «أوجين ديلاكروا»

وبينما الشاعر في
زنزانةٍ يومًا مُقيمٍ
هيئتهُ شعثاءٍ عاري
الصدر جسمهُ سقيمٍ

* * *

قد أخذتُ أقدامهُ
مُختلجاتٍ في اضطرابٍ
من تحتهِ تطوي
صحائفًا لمخطوط كتابٍ

* * *

(*) "تاسو": شاعر إيطالي شهير انتهت حياته في مستشفى الأمراض العقلية، وكان الرسام الشهير "أوجين ديلاكروا" رسم له لوحة صوره فيها داخل سجن، ومن هذه اللوحة استوحى بودلير هذه القصيدة.

وفي عيونه أضاء
الذعرُ نظرةً سرَّتْ
لسلِّم الدُّوارِ حيثُ
روحهُ تكسَّرتْ

* * *

وكل هذي القهقهات
المالئات السجن حوْلَهُ
نحو المُحال والغريب
أصبحتْ تحت عقله

* * *

الشكُّ محدقٌ بهِ
والخوفُ حولهُ يدورُ
تعددتُ أشكاله
وصار تافهاً نكيرُ
والعبقري قد غدا
حبيس كوخه الحقيزُ

* * *

هذا العُبوسُ والصُّراخُ
والطيوف المائجةُ
أفواجها من خلف
أذنيه تطير هائجه

* * *

يا حالماً يوقظه
الهُولُ الذي قد أفرغَهُ
شعارك الروح التي
كل رؤاها مُفزعَهُ
حبيسة الواقع من
جدران سجنٍ أربَعَهُ
* * *

La Mort des amants

موت العاشقين

سوف تكون عندنا أسرّة
ذات عطور هادئات كامنه
وستكون عندنا أرائك
عميقة عمق القبور الساكنه

* * *

وأزهر نادرة مرصوصه
فوق الرفوف العاليات الكائنه
وتحت أروع السماوات تفوح
في المكان بالعطور الفاتنه

* * *

سوف تكون مُهْجَتَانَا شَعْلَتَيْنِ
تلمعان مثل مِشْعَلِي ضِيَاءُ
تستنفدان جذوتيهما وتعكسان
من نورهما حتى الفناءُ
داخل رَوْحَيْنَا اللَّتَيْنِ صَارَتَا
من المرآيا توأمين في السناءُ

* * *

وفي مساء لونه لون الورود
صيغ من زرقه فردوس مكين
يمر بيننا وميض مفرد
مثل زفير للوداع والحنين

* * *

وبعده يأتي إلينا ملك
تملؤه البهجة مسرور أمين
ينعش كل الشُّعَلات الخائيات
والمرايا الصَّدِّئات في العيون

* * *

La Mort des pauvres موت الفقراء

الموت يمنحنا العزاء
وصَبَرْنَا! واحسرتاهُ
وهو الذي يهب الحياةَ
ووحدهُ طوقُ النجاةِ

* * *

هو ذلك الأمل الوحيد
وكل مغزىٍ للحياةِ
هو مثل إكسير
يُغذِّينا ويُسكِرنا شذاهُ

* * *

ولكي نسير إلى المساء
يصب في القلب الوقودُ
عبر العواصف والثلوج
وفوق أكوام الجليدُ

* * *

هو ذلك الضوء الذي
في أفقنا الخابي يسودُ
والفندق المعروف
من أجل المآكل والرُّقودُ

* * *

هذا هو المَلَكُ الذي
حملتُ أصابعهُ العجيبَهُ
سرَّ الخلودِ إلى الرُّقادِ
مع المناماتِ الغريبهِ
ويَعُدُّ للعاري السريرَ
وللفقير بكل طيبهِ

* * *

هو مجد أرباب السماء
وبَيَدَرُّ يحوي الغرائبُ
الموطن الأزلي
للفقراء من كل النوائبُ

* * *

هو بَدْرَةٌ مملوءةٌ
تهب المساكين الرغائبُ
الموت بابٌ للؤلؤج
إلى سماوات العجائبُ

* * *

La Mort des artistes

موت الفنانين

كم مرة يَلْزَمُ أن
أبْكِي بالدمع الصبيبُ
أَطْبَعُ قُبْلَاتِي على
جبينك الفظ الكئيبُ

* * *

كما تصيب أسهمي في
ذلك المرمى الغريبُ
أيتها الجعبةُ كم
يُخْطِئُ سهمي كي يُصِيبُ؟

* * *

وفي دسائسٍ نَهْدُ
روحنا من غير طائل
ونفقد الكثير والكثير
من كل الوسائل

* * *

كي نشهد الخلق البديع
مائلًا في العين هائل
ونكتوي شوقًا إلى
رؤيته من دون حائل

* * *

هناك من لم يعرفوا
أي إلهٍ يعبدونُ
من حملوا إزميلهم
ووصمة العارِ المُشينِ
هم الذين يَنحتونَ
الصدرَ ثَمَّ والجبينَ

* * *

لا أملٌ لهم سوى
صُنْعِ بِنَايَةٍ مَجِيدَةٍ
كي يَأْتِيَ المَوْتَ المَطْلُ
مثلما الشمسُ الجَدِيدَةُ
مُفجِّرًا إِبْدَاعَهُم
مثل زُهيراتٍ وِلِيدَةٍ

* * *

المترجم

ياسر محمود يونس.

وشهرته: ياسر يونس.

_ وُلِد في مدينة الإسكندرية في السادس عشر من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين..

_ تخرج في قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين..

_ حصل على درجة الدراسات العليا في الإدارة من كلية ستونبريدج بالمملكة المتحدة..

_ حصل على دبلوم في الصحة العامة من جامعة مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية..

_ هاجر إلى سويسرا عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين، وعمل مترجمًا لدى عدة منظمات تابعة للأمم المتحدة، وتولى منصب مدير إدارة الترجمة العربية في المقر الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف بسويسرا..

_ تقاعد عن العمل مؤخرًا لأسباب صحية..

صدرت له الأعمال التالية:

_ ديوان «أصدقاء حائرة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993 م.

_ ديوان «رسالة إلى امرأة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995 م.

_ ترجمة مختارات من ديوان «أزهار الشر» للشاعر الفرنسي بودلير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة أولى، 1995 م.

_ ديوان «ليالي شهرزاد»، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 2001 م.

_ ديوان «الكل يصفق للسلطان»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2003 م.

_ ديوان «لا تُعَارِضْ»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2007 م.

_ ديوان «صليب باخوس العاشق»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2022 م.
_ ترجمة مختارات من ديوان «أزهار الشر» للشاعر الفرنسي بودلير، طبعة
ثانية مزيّدة ومنقحة، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2023 م.
_ الأعمال الشعرية (1993 - 2023)، مجلد يشمل كل أعمال الشاعر السابق
صدورها، مركز الحضارة العربية، 2023 م. (قيد الطبع)
ينشر بانتظام مقالات تتناول التاريخ الإسلامي بنظرة نقدية تعتمد العقل معيارًا
وتتجرد من الأهواء الأيديولوجية.

للتواصل:

yasserpoet@gmail.com

الفهرس

7.....	إهداء
9.....	تمهيد: د.....
32.....	الشؤم
34.....	أغنية الخريف
41.....	صُعود
46.....	العطر الفريد
49.....	المِشعل الحي
52.....	بكِ أهيم مثلما بقُبَّة الليلِ أهيم
54.....	أنشودة
57.....	النذير
59.....	مُطابَّقات
62.....	إلى المرحه مفرطة المرح
67.....	لوحة طبيعية
73.....	الصورة
76.....	الشاعر «تاسو» في السجن
80.....	موت العاشقين
83.....	موت الفقراء
87.....	موت الفنانين
90.....	المترجم



الشاعر ياسر يونس

وُلد في مدينة الإسكندرية في 16 ديسمبر عام 1969.

تخرج في قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام 1991.

حصل على درجة الدراسات العليا في الإدارة من كلية ستونبريدج بالملكة المتحدة.

حصل على دبلوم في الصحة العامة من جامعة ميتسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية.

هاجر إلى سويسرا عام 1995.

عمل مترجماً لدى عدة منظمات تابعة للأمم المتحدة.

وتولى منصب مدير إدارة الترجمة العربية بالمقر الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف بسويسرا.

صدرت له الدواوين الشعرية:

- أسداه حاضرة.
- رسالة إلى امرأة.
- ليالي شهرزاد.
- الكل يصفق للسلطان.
- لا تعارض.

- ترجمة مختارات من ديوان "أزهار الشر" لبودلير إلى الشعر العربي.

- صليب بالخوس العاشق.

- الأعمال الشعرية "1993-2023"

"بودلير" الشاعر الفرنسي الشهير والمترجم أيضاً والناقد الفني الذي أشارت المطبعة الأولى التي صدرت عام 1857 من ديوانه الشهير "أزهار الشر" ضجة كبيرة وجدلاً وصل إلى حد مصادرة عدد من قصائده. وكان بودلير على موعد مع المجد لكن بعد وفاته، إذ أحدث ثورة في الشعر الفرنسي بل أحدث ثورة في الشعر العالمي حيث سار على التقاليد والأعراف الشعرية السائدة كما سار على التقاليد والأعراف الاجتماعية والدينية وفتح الباب أمام الشعراء كي يكتبوا ما كان محرماً عليهم كتابته قبل بودلير.

وفي هذه الترجمة حاولت أن أعيش تجربة بودلير الشعرية وأن أسوغ قصائده شعراً عربياً التزمت فيه بأوزان الشعر العربي وقوافيه. وصدرته بدراسة موجزة عن بودلير وعصره، كما عقدت مقابلة سريعة بينه وبين أبي نواس الشاعر العباسي الغنى عن التعريف.

